

مكانة القراءة في إنجاح رسالة الإمام

بقلم : الدكتور: محمد دباغ

تمهيد

حسن الأداء وفهم المعاني والقدرة على توجيه اختلاف الألفاظ بين الروايات تعد داخلة في التكوين العلمي والعملية للإمام.

إنّ المتأمل في أحكام الفقه الإسلامي يستنتج أن للإمام شروط عملية وهذه الشروط تنحصر إجمالاً في:

وبناء على ما تقدم فإن بحثي لهذا الموضوع ستركز على النقاط التالية:

- الفقه.

- الورع.

- حسن السلوك.

1- القراءة، مفهومها، حكمها، وفضلها

2- أثر القراءة في التدريس والإمامة.

3- واقع الاهتمام بالقراءة بين النظرية والتطبيق.

المطلب الأول: القراءة مفهومها وحكمها وفضلها

- القراءة لغة مصدر الفعل الثلاثي قرأ⁽¹⁾ ويرد متعدياً نحو أقرأ بالكتاب تعدياً إلى المفعول بالباء⁽²⁾

والفاعل منه قارئ ومقرئ، أما قارئ فعلي قرئت⁽³⁾ وتدور مادة قرأ على

وبناء على هذه الشروط فإن نظرة سريعة على بعض النصوص المثيرة إلى مسائل الإمامة كقوله عليه السلام: "أئمتكم شفعاكم فاختروا من يشفع لكم" وقوله عليه السلام: (يؤم القوم أقرءهم لكتاب الله).

يدرك أن نجاح رسالة الإمام مرتبط بعدة عوامل يمكن استنتاجها من النصوص وأقوال الفقهاء وإن لم ينصوا عليها صراحة.

ولذلك كانت القراءة لمعنى

الجمع والاجتماع ولذلك يقال لمجتمع الناس قرية (4).

ومعنى قرأت القرآن مصدر للفعل الثلاثي قرأ - كغفران وشكران لفقر وشكر قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾ (5).

سبعة أحرف فأقرأوا، ما تيسر منه (6). وبناء على التأصيل الشرعي لا خلاف القراءات نذكر تعريف القراءة اصطلاحاً حيث عرفها ابن الجزري بقوله "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بغزو النقلة" (7).

واختار الدكتور خير الدين سيب من بين جملة من التعريفات حيث عرف القراءات بالجمع بأنها "مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عذر كل وجه لناقله" (8).

الفرع الثاني: حكم القراءة

- لا بد لمعالجة موضوع البحث أن نأخذ بالقراءة على مستويين

- 1- المعنى المتقدم
- 2- إتقان القراءة بمعنى الأخذ بأحكام الترتيل

وبناء على ذلك فإن تعلم ما يصح به الأداء واجب عيني على الإمام، أما التفاصيل والجزئيات فيكون هو وغيره فيها من سواء باعتبارها من اختصاص

- أما اصطلاحاً: فإن مما يؤصل لمصطلح القراءة واستعمالاته ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام ابن حكيم بن جرام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم قلبه يرد أنه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فأطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على

ذوي الشأن

الفرع الثالث: فصل إتقان القراءة.

يكفي في فضل إتقان القراءة قوله صلى الله عليه وسلم " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البراءة..... " (9).

وعليه كان من واجب كل قارئ لكتاب الله أن يسعى جاهدا لضبط ألفاظه ومعانيه وأحكام تلاوته.

الفرع الثالث: أركان القراءة

جعل علماء القراءات ضوابط لصحة القراءة ذكرها ابن الجزري بقوله:

وكل ما وافق وجه النحو

وكان لرسم احتمالا يحوى

وصح إسنادا هو القرآن

فهي ثلاثة أركان " (10).

وعليه تكون أركان القراءة هي:

1- صحة السند.

2- موافقة الرسم.

3- موافقة وجه من أوجه العربية.

المطلب الثاني: أثر العلم بالقراءات في التدريس والإمامة.

الفرع الأول: في التدريس: المقصود

بالتدريس تدريس مختلف العلوم

المتعلقة بكتاب الله من تفسير وفقه ولغة

في مختلف المستويات كالمدارس القرآنية، والزوايا، والمعاهد والجامعات وعليه يمكن تلخيص أهمية القراءة في التدريس كما يلي:

1- فهم معاني القرآن وعباراته وأساليبه وهو مقصد ذاتي يؤدي إلى التدبر والاعتاظ.

2- الاستشهاد اللغوي والنحوي وأخذ أوجه التعبير الصحيحة السليمة.

3- توجيه الألفاظ المختلفة بحسب اختلاف القراءات توجيهها علميا. (11)

4- إدراك أسباب اختلاف القراءات المبنية على اختلاف القراءات.

الفرع الثاني: في الإمامة:

وهنا لابد من الجمع بين كل من القراءات والتجويد كما تقدم، وهكذا تتمثل أهمية القراءة في رسالة الإمام خاصة فيما يلي:

1- حسن أداء القراءة في الصلاة وذلك أدعى للتدبر والخشوع.

2- التعليم الجيد والمتقن وذلك ما يساعد التلاميذ على الضبط والإتقان وتجنب اللحن.

3- حسن الاستدلال والاستشهاد في

الدروس والخطب وهنا نجد الإمام إذا كان مطلعاً على أوجه مختلفة للقراءات فإنه يستصحب المعنى المطلوب المناسب للسياق الذي ذكره.

ملاحظة: يختلف اختلاف القراءات عن اختلاف المذاهب الفقهية، لأن القراءات المتواترة كلها صحيحة وليس فيها راجح ومرجوح بخلاف المذاهب فإنها لما كانت مبنية على الأدلة فإن قوة الأقوال فيها وضعفها تختلف باختلاف تلك الأدلة ولذلك نجد القول الراجح والمعتمد والضعيف.

المطلب الثالث: واقع الاهتمام بالقراءة بين النظرية والتطبيق.

الفرع الأول: جانب التأليف والتدريس اعتنى العلماء منذ القديم بضبط كتاب الله وشرحه وبيان معانيه حيث تنوعت التأليف في هذه الأغراض، وصاحب هذا التأليف الاعتناء بتعليم مختلف الفنون المتعلقة بضبط القرآن كالأحكام العامة للتجويد وعلم الرسم والشواهد والمفردات والغريب⁽¹²⁾ وكان لأهل المنطقة حظهم الوافر في ذلك.

وجرياً على خطى المتقدمين في الفن ظهرت الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالقراءات واختلافاتها وتأثيرها في المسائل اللغوية والأحكام الفقهية وقررت مواد التجويد والقراءات في مختلف المساجد والمعاهد والجامعات والمراكز العلمية بما في ذلك دور الثقافة.

الفرع الثاني: الجانب العلمي

إن ما سبق في الجانب التعليمي يمثل جزءاً كبيراً من الجانب العلمي، غير أن الجانب العملي المحض يحتاج إلى مزيد من العناية المتمثلة فيما يلي:

1- تعميم تدريس أحكام التلاوة في المدارس القرآنية والزوايا وإلزام التلاميذ باتقانها وتطبيقها.

2- ضبط الكتاب المدرسي خاصة في المراحل الأولى بما يوافق الرواية المشهورة تجنباً للتناقض الذي يقع فيه التلميذ بين المدرسة القرآنية والمدرسة التربوية.

هذا ويحسن بنا أن ننوه بالجهود المبذولة في إيلاء المكانة اللائقة بالقرآن من حيث تنظيم الأسبوع الوطني للقرآن الكريم وكذا إحداث جائزة القرآن الكريم

3- إن الانشغال بتعليم القرآن وسائر فروع الثقافة الإسلامية يساهم في تحصين المجتمع من الانزلاقات والانحرافات المحتمل تسربها عبر القنوات الفضائية ووسائل الإعلام المختلفة.

4- ضرورة إدراك أهمية القراءات وعلم التجويد في رسالة الإمام العلمية والعملية.

5- ضرورة تشجيع الشباب على الاهتمام بالقرآن والثقافة الإسلامية عن طريق الجوائز ووسائل التكريم المختلفة.

6- لما كانت نصوص القرآن محفوظة من التحريف فإنه ينبغي الاهتمام بنصوص الشبه من حيث دراسة علوم الحديث المختلفة وبيان مصطلحاتها وحسن التحكم فيها.

فهذا كله يدخل في إطار الجهود العملية الرائدة.

كما تجدر الإشارة إلى الطريقة المنهجية التي أسسها الشيخ أبو القاسم كيرد مبنية على قواعد وضوابط معينة فأثمرت نتائج عظيمة في مجال الحفظ والإتقان.

الخاتمة:

بعد هذا العرض يخلص إلى النتائج الآتية:

- 1- تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه ونشره وجعل راتبه عالية إلى يوم الدين.
- 2- على الإمام والمدرس والواعظ مضاعفة جهوده في تعليم كتاب الله تحفيظاً وترتيلاً وتفسيراً قصد الفوز بما عند الله من كريم ما أعده للمهتمين بكتابته.

الهوامش

- 1- ابن جني، الخصائص / 3/ 153.
- 2- ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، بيروت/ 22/ 1.
- 3- خير الدين سيب، القراءات القرآنية، دار الخلدونية: (11).

- 4- ابن منظور، كان العرب، 1/128.
- 5- القيامة، 17.
- 6- أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والشامي وأحمد واللفظ هذا للبخاري وطرقه متعددة.
- 7- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص 03.
- 8- القراءات القرآنية: 21.
- 9- الحديث.
- 10- ابن الجزري.
- 11- ينظر: محاضرات التدريس للدكتور رابح دغرور، (12).
- 12- ينظر الحجة في القراءات السبع.
- 13- ينظر: مناهج تدريس القرآن في الزوايا، محاضرة الدكتور محمد دباغ في إطار الملتقى التكويني الرابع - عين صالح.